

## امير الأاي صادق بك

### ﴿ جمعية الأتحاد والترقي ﴾

يتساءل الناس في هذه الايام من هو صادق بك وماهي مكانته وما شأنه في هذا الاصلاح الذي حصل في حزب الأتحاد والترقي في مجلس المبعوثين في هذه الايام عرف في مصر وفي كثير من البلاد اسم صادق بك والناس واقفون في الحكم له او عليه واصحاب الجرائد قد امسكوا عن التعريف به سواء منهم المشيع الأتحاديين والمتبع لهوراتهم والمعتدل في كلامه عنهم . وقد ذكرت على مسمع غير واحد من محرريها شيئاً من فضل الرجل الذي يعرفه كل الخواص في الأستانة فكتب بعضهم جملة صالحة ولكني أرى الناس لا يزالون يتساءلون فأحييت أن أكتب في المنار كلمة أخرى في التعريف بهذا الرجل الذي يقل مثله في الرجال اشهر ان الاقلاّب العثماني كان بتدبير جمعية الأتحاد والترقي في سلانيك ومناسرت وعرف الخاص والعام ان الاقلاّب كان من عمل الجيش ، بهذا علا مقام كل ضابط عثماني ورفع اسم نيازي بك وانور بك على كل اسم ولكن خفي اسم صادق بك وهو أجدد بالظهور ، وصار كل من ينسب الى جمعية الأتحاد والترقي يفخر ويسمو بأنه رب الدستور وحاميه فزاحم على أبوابها طلاب الشهرة ورواد المنفعة وعباد القوة . واقض من حوفا الكثيرون من العاملين الخالصين ، وانبرى لمعارضة حزبها في مجلس الأمة حزبان كان خيار رجالها من الأتحاديين ، ومن بقي في حزبها أزواج ثلاثة : - بعض الزعماء ( كالبكوات رحمي وطلعت وجاويد ) ومن استعذب مشربهم واذعن للسري والجهري من احكام جسيهم لانه يرى فيها رأبهم ، وهم الاقلون ، - وطلاب المنافع ، واتباع كل ناعق ، و٣ المستقلون المحاصون الذين يرون ان بقاءهم في الجمعية خير من خروجهم منها وأرجى لتقوم عوجها

ورد في الحديث الشريف « ان لكل شيء شرة (١) ولكل شرة فترة فان صاحبها

(١) الشرة بكسر الشين وتشديد الراء الحدة والنشاط وهي ضد الفترة

سدد وقارب فارجوه ، وان اشير اليه بالاصابع فلا تعدوه » ( رواه الترمذي بسند صحيح ) وقد جرت سنة الله ان الشيء اذا كان في شرة إقباله يقبل الجمهور كل مدح فيه وان كان ظاهر البطلان ، ويرد كل انتقاد عليه وان كان كالشمس في رابعة النهار ، وكان يظن ان شرة إقبال الأتحمادين يطول ومنها فكذب الظن بسوء تصرف الزعماء وقلة كفاءتهم وبمخافة بعض مقاصدهم لصلحة الملكة ونفاليدها ولما تقتضيه طبيعة النصر في سياسة الشعوب المختلفة في الملل واللغات ، ولاستجالتهم في حب الظهور ، والاستئثار بجميع الامور ، فما سددوا وما قاربوا ، وقد اشير اليهم بالاصابع فلم يلبثوا ان سقطوا ، وصدقت عليهم الحكمة النبوية في هذا الحديث الشريف

رفعت الامم اسم « الأتحماد والترقي » بعمل صادق بك الحفي وإخلاصه العظيم ، قدفق التناء على الأتحمادين في أنهار صحف الشرق والغرب حتى صار مجرا زاخراً طفت فوقه أسماء كثيرة فرآها الناس ساجدة في التناء ، منها ماله قيمة كالنكك ومنها ماهو كالنقاء ، ورسب في قاعه اسم صادق بك كما رسب الدر في أعماق البحار ، فلم تهتب باسمه الجرائد ، ولم ينوه به في تلك الخطب والاعاني والقصائد ، كما نوه باسم نيازي وأنور اللذين كانا سيفين من سيوفه تحركهما يده العامة وتصرفهما أوامره النافذة ، ألا إن صادق بك هو « قومندان » الانقلاب العثماني وموجد الدستور

واسأل عن ذلك كتاب ( خاطرات نيازي ) فهو يخبرك اليقين ، « ولا ينبتك مثل خبير » فصادق بك اجدر رجال الدستور بالظهور واحقهم بالتناء وكلهم يعرف له هذا الفضل ولكنه هو الذي احب الخمول وترفع عن التناء والمكافأة على عمله من الجمعية أو الحكومة ، فهو الزعيم الذي لم يأخذ مالا ولا وساما حتى ان شوكت باشا رغب اليه ان يقبل يوم عيد الدستور من السنة الماضية وساما مرصفاً تقرر لإنعام السلطان به عليه فلم يقبل . زوت صاحبنا لي من الأتحمادين قبل ذلك العيد يوم واحد فقال لي لو جئت قبل ربع ساعة لو جئت صادقاً هنا وقد اخبرني بكذا وكذا وذكر مسألة الوسام ومسائل أخرى

انني لما جئت الآستانة في عام ١٣٢٧ كان صادق بك لا يزال عميد الجمعية المسئول ( أي رئيسها ويسمونه المرخص العام لان من نظامها أنه ليس لها رئيس ويشبه الخلاف ان يكون قنظيا ) ولما عرضت مشروع الدعوة والارشاد ( أو العلم والارشاد كما سميناه هناك ) على الصدر الاعظم قال لي هذا مشروع نافع لا بد منه ولا يتم هنا شيء الا

إذا رضيت به جمعية الأتحاد والترقي وسأكلم صادق بك في المشروع ثم أخبرك هل يمكن تنفيذه أم لا ، ودعا حاجبه وقال له اذهب غدا إلى صادق بك وقل له أنني أحب أن أراه . ثم أخبرني الصدر أن صادقا اقترح تأليف لجنتين للبحث معي في المشروع إحداهما علمية دينية والأخرى سياسية إدارية ، وبأية تألفت اللجنتان وبعد البحث الطويل أقرنا المشروع فقال لي الصدر الأعظم ان المشروع قد تم نهائياً فألف الجمعية وتعال أخصص لك المال اللازم للتنفيذ . وقد علم قراء المنار من قبل ان وزارة هذا الصدر ( وهو حسين حلمي باشا ) قد استقالت قبل أن يتم لنا تأليف الجمعية وازيدهم الآن ما هو المقصود هنا وهو ان صادق بك ترك العمل في الجمعية ولماذا ؟

كان من رأي صادق بك بعد أن استقر أمر الدستور وتألف مجلس الأمة ان تترك الجمعية المحكومة الحرية في عملها وتكتفي بالمراقبة عليها فلا تتعرض لشيء الا اذا رأت الدستور مهدداً بالزوال وقد اتفق مع محمود شوكت باشا على منع الضباط من الاشتغال بالسياسة ولما كان لامندوحة له عن الاستمرار في خدمة الجمعية عول على الاستقالة من الجيش ، وبعد هذا الاتفاق خطب محمود شوكت باشا خطبته الشهيرتين في الفيلق الاول بالآستانة والفيلق الثاني بادرنه ، وصرح في الخطبة الثانية بقوله ان أخانا صادق بك لما كان يريد البقاء في جمعية الأتحاد والترقي فسبقدم لي استقالته ،

كان الذين تواطؤوا على الاستقلال بزمامة الجمعية والسيطرة على الحكومة قد استمالوا اليهم قبل هذا الاتفاق كثيراً من الضباط بضروب من الاستمالة فصار لهم عصبية منهم ولما صار طلت بك ناظر الداخلية كان أقدر من غيره على هذه الاستمالة فأدخل في الوظائف الادارية كثيراً من الضباط وقد كنت مدعوا عنده في بعض الليالي فجاء اثنان منهم ونحن سامرون معه في الليل فكان الواحد منهم يجلس في مكانه ويسب بمكتبه ويبحث في أوراقه ورأينا ان حديثه معنا قد تلجلج وان من حسن التدقيق ان ننصرف ليخلو لهما وجهه ، وندع الحديث الى وقت آخر فاستأذنا وانصرفنا

كان ارتباط زعماء الجمعية بالضباط واشتغال الضباط بالسياسة من أعظم الاخطار التي تهدد الدولة وقد انتقدته الجرائد الاوربية بأشد مما انتقدت غيره من أعمال الجمعية بعد ظهور الخلل فيها ، وانتقده الجهم الفقير من الضباط كما سمعت باذني من بعض أركان الحرب منهم وعلم حتى كان يخشى ان يقع الشقاق في الجيش نفسه بالتنازع بين أنصارها والساحطين عليها من الضباط وقد وافق صادق بك محمود شوكت باشا على تلافي هذا الامر ولم يقدروا على تنفيذه بالفعل

كتب صادق بك استقالته من الجيش وكتب مذكرة الجمعية للركيزة اشترط فيها لبقائه تاملا في الجمعية باسم المرخص أو المدير المسئول بشروطها منها أن يترك طلعت بك نظارة الداخلية وجاويد بك نظارة المالية واحمد رضا بك رئاسة المجلس لانه لا ينبغي على رأيه ان يكون زعماء الجمعية من رؤساء الحكومة لما لهم من القوة التي تمكنهم من الاستبداد ، فكبر ذلك على هؤلاء الزعماء بعد أن مكثوا لاقسبهم في الارض ورأوا أنهم صاروا في هذه الدولة هم الأئمة الوارثين ، وكان قد ظهر من رياستهم تنفير جميع العناصر الضمانية من اخواتهم الترك . وتقدم اليهود في نظارة المالية على غيرهم ، واملأه كلمة الماسونية ، والاسراف في نشرها ، وتقديم المقدمين فيها على غيرهم في جميع المناصب والاعمال ، وجعل مقام الخلافة كالمجرد من كل سلطة وهنود كبرت شروط صادق بك على أولئك الزعماء فكانوا منها في أمر مريب لان ترك السلطة والدولة بعد التمكن منهما لا تسمح به النفس ، ومخالفة صادق بك ليست بالأمر السهل ، فرأوا بعد الروية والتفكير أن يجتهد في اقناعه بالتنازل عن بعض تلك الشروط وأهمها عندهم ترك السلطة وحرية الحكومة بعدم سيطرة الجمعية عليها ، وقد بلغني يومئذ ممن أثق به من الاتحاديين ان طلعت بك قصد دار صادق بك غير مرة في الليل ولم يأذنه صادق ببقائه ، ولما رأى أنه لايسهل عليهم اجابته الى ما طلب وأنهم خائفون منه ان يحاول تنفيذ مطالبه بالقوة وعلم - كما قيل لي يومئذ - أنهم يراجعون من استألوهم من الضباط لتأييدهم ، أنهم من اعتمادهم على السيف في ذلك لان هذا هو الذي ينكره ويخشاه فكيف يكون هو البادئ به ، وأنهم بانه يترك لهم جمعيتهم ويسترد استقالته من الجيش وكذلك فعل ، وكان هذا من آيات اخلاصه الكثيرة ترك لهم هذا الصادق كلاما من الجمعية والحكومة فبعد ان قلبوا وزارة حسين حلمي باشا لانه لم يستطع الصبر على أن يكون آلة معدنية في يدي طلعت وجاويد جاؤا بحقي بك فجملوه صدرا والناس مختلفون فيه فظهر بعد الاختبار أنه أصبر الناس على ما لم يطق قبوله كامل باشا ولا الاستمرار عليه حسين حلمي باشا ، وثافت الخطوب من سياسة طلعت وجاويد حتى ضج مجلس الامة بالشكوى وبلغت أصوات المعارضين عنان السماء بعد ان ازعجت سكان الارض حتى اضطر طلعت بك الى الاستقالة من نظارة الداخلية فصوبت سهام المعارضة بيده الى جاويد بك خاصة والى رجال الوزارة عامة ، والى جاهد بك صاحب جريدة ( طنين ) الذي هو المحامي عن جمعية الاتحاد والترقي بقلعه المسموم الذي سماه بعض أدباة الاستانة من الترك « سفية القوم »

انني أقت في الآستاة سنة كاماة، وقفت فيها على غوامض سياستها ومخبات صناديق أسرارها، ووردت في ذلك موارد قلما تيسر كلها لاحد، فقد عاشرت كثيرين من العلماء والوجهاء والادباء والضباط والمبعوثين والاعيان ورجال الحكومة وغيرهم ومنهم من لهم صلة بالاسرة السلطانية، ومنهم الاتحادي وغير الاتحادي، وقد استفدت من مجموعهم الجزم بعدة مسائل أذكر منها ما يفيد في هذا المقام :

(١) ان مولانا السلطان متبرم من القوم وغير راض من احوال الاماة وينتظر ان تغيرها الحوادث الى احسن مما هي عليه، ولا أزيد على هذا في هذه المسألة  
(٢) ان بعض زعماء جمعية الأتحاد والترقي يريدون ان تبقى الدولة في أيديهم يدبرونها كما يقررون فيما بينهم بزمامي حزبهم في مجلس الامة ورجالهم في وزارات الباب العالي وسائر المصالح، ويؤيدهم في ذلك طائفة من ضباط الجيش  
(٣) يجب على كل وزير أو رئيس عمل منهم أن ينفذ كل ما تقرره اللجنة العليا للجمعية في الحكومة

(٤) يدبرون نظام حزبهم في المجلس بطريقة تجعله آلة في أيدي من فيه من زعماء الجمعية كطامت بك ورحمي بك وجاويد بك وخليل بك ومن يليهم في النفوذ كجاهد بك واسماعيل حتي بك، فاذا اتفق هؤلاء مع لجنة سلايك على أمر جمعوا حزبهم للمذاكرة فيه وهو متفق عليه بين الزعماء ومن يفتنون به قبل الاجتماع ممن يسهل إقناعهم، ومن نظام حزبهم أنه اذا أقر الثثن من حاضري الجلسة فيه أمراً وجب على الباقيين اتباعهم بغير مناقشة فكان اذا حضر الجلسة ستون وهم نصف أعضاء الحزب واتفق اربعون منهم على المسألة تبهم الباقي هم ١٢٠ فينفذ في المجلس على انه رأي أكثر أعضائه وانما هو رأي الاقلين من حزب واحد من أحزابه

(٥) ان هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون يجتهدون في نشرها وجعل رجال الحكومة من أعضائها كما ينشرونها في ضباط الجيش وقد يكون هذا تمهيدا للفصل بين السياسة والدين وتجربد السلطان من صفة الخلافة الاسلامية

(٦) ان من لوازم تشييمهم للماسونية قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة وذلك يفضي الى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين الذي يراد به إعادة ملك اسرائيل الى وطنهم الاول، والى ابتلاع أصحاب الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد

(٧) من أهم مقاصد هؤلاء الزعماء جعل السيادة والسلطة في المملكة العثمانية

لشعب التركي والتوسل بقوة الدولة الي إضفاف اللغة العربية واماتها في المملكة  
وتفريك العرب مع إبنائهم ضمفء بالجهل والضمفط وذذبذبة اللسان ، ومنع الالبانيين  
والاكراذ من تدوين لغتهم وجعلها لغة علمية . وهذا من المقاصد السرية التي لا يعترفون  
بها على استعجالهم بتنفيذه بالمعمل وبكتابة جريدة طنين

من آثار هذه السياسة هذه الحرب الطحون في اليمن والبلاد الالبانية وقد كان  
من أسهل الامور تنفيذ الاصلاح المعقول في هذين القطرين في ظل السلام والامان  
قد وقفنا في الآسنة على كل هذا ورأينا أهل الرأي والفيرة من سكان هذه  
العاصمة يتوقعون الفتن ويخافون العواقب من سياسة هذا الرهط من زعماء الاتحاديين  
ولم أحب أن أشرح تلك الامور وأبين ما فيها من الخطر بل سميت الي الاصلاح  
هناك ما استطعت فلم يفن نصحي لهم شيئاً ، ولما عدت الي مصر أشرت بلطف الي  
ما يخشى من خطر اليهود والماسونية في هذه المملكة الاسلامية ، وتركت الشرح  
والتفصيل ، والتشجيع والتفريع ، لانني لم أر ذلك من الحكمة

كان صادق بك كل هذه المدة بالرصادير اقب الحوادث من بعد لا يحرك فيها قلاماً ولا لساناً ،  
ولا يجردها لها سينا ولا يشرع سناناً ، حتى اذا ما رأى قوة المراضين للاتحاديين  
ووزارتهم من أحزاب الجاس قد عظمت ورأى ان أهل الاستقلال والانصاف من  
حزب الأتحاد نفسه متبرمون من الحكومة ومن تأييد أولئك الزعماء لها ومن سياستهم  
للماسونية ولوازمها — حتى إذا ما رأى ذلك خافه الصبر وعز عليه ان يدع الدستور  
الذي أخذته بقوة يمينه والجمية التي شرفها بعمله واخلاصه آلة في يد هؤلاء الرهط  
الذين لم يحسنوا التصرف ولم يقيموا الميزان ، فقد يده الي المستقلين المنصفين من حزب  
الأتحاد ، وبذل لهم مظاهرته فيما يقيمون به توج أولئك الافراد ، ويحولون بينهم  
وبين الاستبداد ، ويصالحون ما حدث في الامة والدولة من الفساد ، فاشتدت عزائمهم ،  
وصاحوا في وجوه أولئك الزعماء تلك الصيحة المزعجة ، واقترحوا عليهم تلك  
الاقتراحات المنصفة ، فارتفعت أصوات التأييد والتفديد ، فكانت أصوات طلاب  
الاصلاح أجهر ، وعددهم أكثر ، فأظهر الزعماء الرضا واجمين ، وذات أعناقهم لها  
خاضعين ، ثم ولوا الي أنصارهم مدبرين ، ووجهوا الي ضباطهم مستنصرين ، فاذا  
ليث الغاب ، قد انكشف عنه الحجاب ، ففرع حتى باشا الي مولانا السلطان ، وقال  
انه لا يكون في العاصمة صدران ، فاما قبول استقالتي ، وإما دفع صادق بك بالي ،

وأخراجه من المدينة، ريثما تعود إليها السكنية، فأرعى إلى محمود شوكت باشا أن يخرج صادقا ففعل وما كاد، ونبأنا البرق ان صادقا أبي أولا ثم أجب  
كان أول ما طرق مسامحا في هذه الحادثة قول البرقيات العامة ان الامير الأي صادق بك ( وذكرها بعضهم صديق ) أبي ان يطبع الأمر بالخروج فاستكبرت الأمر، واستعظمت الخطب، ورأيت الناس حولي غير مباليين، فقلت ان هذا هو البلاء المبين، ولا بد ان نتنظر تفسيره الى حين، فان الدولة لم يظهر فيها بسدا لاقبال الرجالان عسكريان، احدهما صادق بك موجد الدستور، وثانيهما حامي بيضته وهو محمود شوكت باشا فاتح استانبول، ولكل منهما مكانة في الجيش عظيمة فاذا تصادما وقع الحلل في الجيش وذهبت الثقة بالدولة، ولا يعلم العاقبة الا الله تعالى، واتي لأصدق ان صادقا الضابط المخلص الكامل يعصي أمر رئيسه، واحمد الله ان صادق ظني، ولم قلبت البرقيات ان شهدت بصحة قولي، ثم جاءت صحف الآستانة ورسائلها بالتفصيل، وعلى الله قصد السبيل،

#### مطالب المصلحين في حزب الاتحاد

- جاءت مطالب المصلحين مصدقة لجميع ما كنا علمناه في الآستانة من حقيقة ما عليه زعماء الاتحاد ومن تأثير سياستهم، وقد حدثنا به خواص أصحابنا، واشرتنا الى المهم منه في المنار، وهالك مطالبهم العشرة التي قرروها وأعلنوها
- «١» ان لا يسعى المبعوثون الى الامتيازات والمنافع لا تقسمهم ولا لتغيرهم
  - «٢» ان لا يقبل المبعوثون وظائف الحكومة وأعمالها
  - «٣» ان يكون قبول أحد المبعوثين نظارة من النظارات بقرار الثلثين من فرقة الأكثرية ويكون اعطاء الرأي بالطريقة السرية
  - «٤» ان يعنى بتنفيذ القوانين وبالمراقبة على النظار
  - «٥» ان يعنى بمسئلة أمجاد العناصر ( كما كان ) وان يبذل الجهد في سبيل رقي الزراعة والصناعة والتجارة والمعارف على نسبة الاحتياج
  - «٦» ان يحافظ على الآداب والاخلاق الصومية الدينية مع الاقتباس من المدنية الأوروبية
  - «٧» ان يحافظ على عادات السلف ضمن دائرة القانون الاساسي
  - «٨» ان يجعل بقانون نصب وعزل عمال الحكومة الموظفين

«٩» ان يعدل في القانون الاساسي بعض المواد المتعلقة بحقوق الخلافة والسلطة  
 «١٠» أن تقاوم مقاصد الجمعيات المؤسسة على السر .  
 كل مطلب من هذه المطالب حجة على الاتحاديين الذي كانوا يصفون جمعيتهم  
 بالجمعية المقدسة وعلتهم سياسة اولئك الرهط من الزعماء ، دع أخذ الامتيازات والسمرة  
 لطلابها ، ودع التوسل باليهودية الى المناصب وهو ما يصبون به غيرهم بالهمة ، ودع  
 عدم تنفيذهم القوانين والحكومة في أيديهم ، وحقائبهم للتظاهر ونصرهم على كل حال  
 ودع عدم وضعهم قانوناً للمزل والنصب ليكون الامر كله تابعاً لمشئته الافراد ، ودع  
 تغييرهم عناصر الدولة كلها من الحكومة ومن الناصر التركي الذي لا ذنب له سواهم ،  
 وتأمل مسألة المحافظة على الآداب والأخلاق الدينية وعادات السلف ، فان اقتراحها  
 يدل على انه يراد بها درء مفسدهي أشد خطراً على الامة ولا سيما على الناصر التركي  
 من جميع تلك المفسد السياسية والادارية ، فانما الامة بمقوماتها ومشخصاتها من  
 العقائد والشعار والآداب والأخلاق ، وقد كانت كلها عرضة للفساد ، يجعل الصلاة  
 في مدارس الحكومة ولا سيما الحربية امراً اختيارياً ، ومن إباحة تهتك النساء ، بل  
 الامر أعظم من ذلك فقد سمعت بأذني بعض الزعماء يجادل معسماً من رفاقه الاتحاديين  
 فيما ترتقي به الامة ، فالمعصم يقول انا ترتقي بالمحافظة على آدابنا وأخلاقنا وشعارنا  
 وسائر مقومات حضارتنا الاسلامية وبقباس الفنون والصناعات من أوربة ، والزعيم  
 يقول بل يجب ان نمشي وراء فرنسا في كل خطوة وتبع سنها شبراً بشبر وذراعا  
 بذراع في الامور المادية والمعنوية جميعاً وان نصير رجال الدين عصراً الخ  
 ثم تأمل مسألة الخلافة الاسلامية والجمعيات السرية وتذكر مقاصد الماسون  
 في الحكومات ومقاصد الصهيونيين في فلسطين ، وقل رب احكم بالحق وانت  
 احكم الحاكمين